الفصل الثالث

الفرق الإسلامية فى الأندلس فى عصر الخلافة

(316هـ/928م-422هـ/ 1031م)

المبحث الأول: الشيعة

المبحث الثانى: الخوارج

المبحث الثالث: المعتزلة

المبحث الرابع: الأشعرية

المبحث الخامس: المرجئة

obeikandi.com

obeikandl.com

تعددت الفرق الإسلامية وتشعبت بتأثير كتب الفلسفة اليونانية والهندية التي ترجمت إلى العربية، فأصبحت الفرقة الواحدة فرقاً متعددة، وقد انتقل هذا المعترك العقائدى برمته إلى الأندلس تباعا، وكان للمشرق أثره الكبير فى ذلك بدءً من حركة الجيوش الإسلامية المتجهة من المشرق إلى الأندلس، ومرورا بالحراك العلمى المتمثل فى رحلات الأندلسيين إلى المشرق، والذين كانوا يعودون لبلادهم وقد حملوا أفكارا عن الفرق الإسلامية إما من خلال الشيوخ المشارقة أو من خلال المصنفات التى وقفوا عليها بالمشرق وحملوها إلى الأندلس.

الجدير بالذكر أنه على قدر مخاطر الفرق الإسلامية فقد لعبت دورا مهما فى تنوير العقلية الإسلامية بالأندلس من خلال الفعل ورد الفعل، إذ تعددت المناظرات والردود بين أتباع هذه الفرق وبين معارضيها من فقهاء أهل السنة لا سيما فقهاء المالكية الذين كانت لهم حظوة وسطوة فى المجتمع الأندلسى، مما كان له أثره الكبير فى تضلع الكثير من الفقهاء السنة لمواجهة المخاطر العقدية للفرق الإسلامية، والتى واجه أتباعها اتهامات بالزندقة والمروق من الدين، فضلا عن التنكيب والاضطهاد من قبل حكام الأندلس.

ويمكننا أن نعرض للفرق الإسلامية بالأندلس فى عصر الخلافة على النحو التالى:

المبحث الاول: الشيعة:

نبدأ بالحديث عن الشيعة باعتبارها الأقدم ظهورا فى عرف كتاب الفرق، والشيعة هم الذين شايعوا علياً وقالوا إنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وأنه أحق الصحابة بالخلافة وولده من بعده (1).

[1] أنظر: ابن حزم (أبو محمد على، المتوفى 456هـ: 1063م)، الفصل فى الملل والأهواء والنحل، ج1، تحقيق أحمد شمس الدين، بيروت – دار الكتب العلمية 1416هـ/1996م،370 ؛ أحمد رمضان أحمد، الخلافة الخلافة فى الحضارة الإسلامية، جدة – دار البيان العربى للطباعة والنشر والتوزيع 1403هـ/1983م، 217،218. أما عن أفكارهم ومعتقداتهم والمعالم الرئيسية لعموم فرق الشيعة دون الزيدية فيمكننا بعد مطالعة العديد من مصنفاتهم أن نجملها فى التالى: أن الله بعث جبريل بالوحي إلى علي فغلط جبريل وأنزل الوحي على محمد ﷺ، وأن القرآن الكريم ناقص وأن القرآن الحقيقي صعد به إلى السماء حينما ارتد الصحابة رضوان الله عليهم، وأن أئمتهم هم الواسطة بين الله وبين خلقه، وأن الأئمة لا يتكلمون إلا بالوحي، وأن حساب جميع الخلق يوم القيامة إلى الأئمة، وأن زيارة قبور وأضرحة الأئمة والأولياء فريضة من الفرائض ويكفر تاركها.

–أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعلم الغيب، وأنه ولا بد مع شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله أن تشهد أن عليا ولي الله تعالى فيرددونها في آذانهم وبعد صلواتهم ويلقنوها موتاهم.

– أن من لعن أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية بن أبي سفيان وعائشة وحفصة رضي الله عنهم بعد كل صلاة فقد تقرب إلى الله بأفضل القربات، وأن كفر عمر بن الخطاب رضي الله مساو لكفر إبليس إن لم يكن أشد منه، وأن أبا بكر وعمر كانا كافرينوالذي يحبهما فهو كافر أيضاً، وأن عثمان بن عفان كان في زمن النبي ﷺ ممن أظهر الإسلام وأبطن النفاق،ويعتقد شيوخ الشيعة كفر عائشة بنت أبي بكر الصديق وكفر حفصة بنت عمر رضي الله عنهم أجمعين، وأن أحد أبواب النار السبعة لعائشة رضي الله عنها، وأنها رضي الله عنها زانية !!! وأن مهديهم المنتظر سوف يحييها ويقيم عليها الحد، وأن النبي ﷺ لا بد أن يدخل فرجه النار لإنه وطئ بعض المشركات (يقصدون عائشة وحفصة).

–أن إيمان المؤمن لا يكمل حتى يتمتع ؛ وقالوا لا إيمان لمن لا تقية له. بل قالوا إن تارك التقية كافر خارج عن دين الله، وأنهم يعتقدون فى الرجعة، وأن صلاة الجمعة لا تجب عليهم حتى يخرج مهديهم المزعوم من سردابه لكي يصلي بهم، وأن الجهاد قبل خروج المهدي المنتظر حرام كحرمة الميتة والدم ولحم الخنزير.

– وأنهم إذا صلوا على جنائز أهل السنة في الحرمين الشريفين فصلاتهم من أجل الدعاء على أموات أهل السنة. أنظر: الملطى (أبو الحسن محمد، المتوفى 377هـ/ 987م): التنبية والرد، تحقيق محمد زينهم، القاهرة – مكتبة مدبولى 1413هـ، 25 ؛ الكشى (أبو عمرو محمد، المتوفى 350هـ/961م): رجال الكشي، ج5، تحقيق جواد القيومي الأصفهانى، مؤسسة النشر الاسلامي بقم، ط1، 1427هـ، 490 –491 ؛ المجلسى (محمد باقر، المتوفى 1111هـ/1699م): بحار الأنوار، إحياء الكتب الإسلامية،8/ 368–370 ؛ 11: 155؛23: 99 ؛ 25: 172؛ 27:79؛ 53:40،41؛ الكراجكي الطرابلسى (أبو الفتح محمد، المتوفى 449هـ/1057م): كنز جامع الفوائد، ج1، تحقيق عبدالله نعمة، دار الأضواء، بيروت، ط1، 1985م، 250؛ ابن بابويه القمى (أبو الحسن على، المتوفى 329هـ/940م): ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، دار طليعة نور، ط5، 121–122؛الطوسى (أبو جعفر محمد، المتوفى 460هـ/ 1067م): تهذيب الأحكام، ج6، ظبطه وصححه محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط1، 1992م،١٣٠؛ الكلينى (محمد بن يعقوب، المتوفى 329هـ/940م): الكافى، تحقيق على أكبر الغفارى، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط5، 1:308، 300، 90،91، 103،347،573؛2:751؛ 122،3:82، 224؛ 5:787؛8: 2103،2109؛ العاملى (محمد بن الحسن، المتوفى 1104هـ/ 1692م): وسائل الشيعة، تحقيق عبدالرحيم الشيرازى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط5، 1403هـ/1983م،١٠: ٤٥٨ ؛12:437 ؛ الجزائرى (نعمة الله بن محمد، المتوفى 1112هـ / 1701): الأنوار النعمانية، تعليق محمد على الطبطبائى، دار القارىء، دار الكوفة 2008م،1: 53،63، 81 ؛ 2:306؛ العياشى (محمد بن مسعود، المتوفى 320هـ/931م): تفسير العياشي، ج2، تصحيح سيد هاشم المحلاتى، بيروت – مؤسسة الأعلمى للمطبوعات د.ت،٢٤٠، 362؛ ابن بابويه القمى (أبو الحسن على، المتوفى 329هـ/940م): علل الشرائع، ج2، تحقيق محمد صادق، النجف – منشورات المكتبة الحيدرية 1385هـ/1966م،٥٦٥،585،584،478؛ الطوسى (أبو جعفر محمد، المتوفى 460هـ/ 1067م): الغيبة، عباد الله الطهراني، علي أحمد ناصح، ط1، 1411هـ، 306.

أما عن الشيعة فى الأندلس فيمكننا القول أن جذورها بالأندلس ترجع إلى أيام الفتح الأولى لها، إذ تردد صدى التشيع بين صفوف البربر الذين اشتركوا فى الفتح مع العرب، ثم سلكت الدعوة الشيعية بعد ذلك أسلوب الكفاح المسلح، وأولى هذه الثورات ثورة شقيا بن عبدالواحد المكناسى التى استمرت من سنة151هـ إلى160هـ/768م-777م وعمت جميع هضبة الجوف التى تشمل شمال ووسط الأندلس، ومنها ثورة عبدالله بن سعيد بن عمار بن ياسر، وثورة الحسين بن يحيى بن سعد بن عبادة الخزرجى سنة165هـ/782م بسرقسطة، وثورة أحمد بن معاوية بن هشام الأموي المعروف بالثائر سنة288هـ/900م بالجوف(1).

ومن الرجال الذين ساهموا في نشر التشيع بالأندلس عباس بن ناصح الثقفي الشاعر الذي أوفده أبو مطرف عبد الرحمن بن الحكم (ت237 هـ) إلى العراق لالتماس الكتب القديمة التي تتناول العلوم المختلفة من طب ونجوم، وعاد إلى بلاده بأفكار يشتم منها رائحة التشيع مثل القول بخروج المهدي، والقول بالرجعة والأئمة السبعة إلى غير ذلك(2) .

وكما انتشر التشيع على يد أمثال هؤلاء فإنه انتشر أيضا بجهود جواسيس الفاطميين للدعاية لمذهبهم في الأندلس، وكان هؤلاء الجواسيس يسترون أهدافهم الحقيقية تحت ستار من المصالح المشروعة كالتجارة أو العلم أو السياحة الصوفية.

ومن هؤلاء الجواسيس الذين كان لهم أثر كبير في نشر الفكر الشيعي بالأندلس أبو اليسر الرياضي(3) الذي يعتبره المؤرخون أول الجواسيس المشارقة بالأندلس، ولا تذكر المصادر

---

1 ابن عذارى (، المتوفى أواخر القرن السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى): البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، ج2، تحقيق كولان وليفى بروفنسال، بيروت – دار الثقافة 1400 هـ/1980م، 80،81 ؛ وانظر: محمود مكي:"التشيع فى الأندلس، مجلد5، عدد 1،2، 96-103 ؛ أحمد مختار العبادى: فى تاريخ المغرب والأندلس، 109،110.

2 ابن الفرضى (أبوالوليد بن محمد، المتوفى 403هـ/1012م): تاريخ علماء الأندلس، ترجمة 881.

3 هو إبراهيم بن أحمد الشيباني. يكنى بأبي اليسر ويعرف بالرياضي الكاتب. أصله من بغداد، وبها نشأ وقرأ على جلة محدثيها وفقهائها. وتتلمذ على كبار أهل عصره كالجاحظ ودعبل الخزاعي وثعلب، ثم تاقت نفسه إلى الترحال فقصد الأندلس أيام أميرها محمد بن عبد الرحمن ثم قصد أفريقية (تونس) واستقر بها أيام بني الأغلب. وأصبح رئيسا لبيت الحكمة، إلى أن غلب العبيديون على الملك فدخل في خدمتهم وانضم إلى دعوتهم. واستمر في وظيفته تلك إلى أن توفي سنة 298هـ. أنظر: ابن الأبار(أبوعبدالله محمد، المتوفى 658هـ /1260م): التكملة لكتاب الصلة،ج1، نشر السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة – مطبعة السعادة 1375هـ / 1955م، 193-194.

التي ترجمت له الكثير عنه، وذلك لأن مهمتهم كانت سرية، ولعل عدم ذكر المصادر معلومات ضافية عنهم ناتج عن سببين: الأول: اختفاء هؤلاء ونشاطهم في السر خوفا من بأس أهل السنة. والثاني: عدم اهتمام أهل العلم بالترجمة لهم، لأنهم في اعتقادهم ليسوا من أهل العلم.

عموما لقد ذكرت المصادر عنه أنه كان أديباً محتالاً دخل الأندلس في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم[1]، مفتعلاً كتاباً على لسان أهل الشام، ولكن يبدو أن الأمير محمد فطن لأغراضه الخبيثة، فاحتفى به وأكرمه دون أن يمكنه من مباشرة نشاطه، فاضطر إلى مغادرة الأندلس.

كان أبو اليسر قد ذهب إلى مصر. وكان يحكمها أحمد بن طولون الذي كان يتوجس خيفة من الدعوات الشيعية فكشف أمره وسجنه. ولسنا ندري كيف تخلص أبو اليسر من سجنه، لكن الذي نعرفه أن أبا اليسر هذا نراه بعد ذلك بالقيروان متولياً على الكتابة في أيام إبراهيم بن أحمد الثاني وعبد الله ابنه، ثم لزيادة الله الثالث آخر ملوك الأغالبة .ثم سقطت دولة الأغالبة سنة 296 هـ. وقبض عبيد الله الشيعي بناصية الحكم، استمر أبو اليسر على الكتابة له حتى توفي سنة 297 هـ[2]، وإن كان أبو اليسر هذا لم ينجح في مهمته كل النجاح، فإنه بلا ريب استطاع أن ينقل إلى هذه البلاد بعض الثقافة الأدبية الشيعية مثل شعر دعبل الخزاعي ت 246 هـ[3] الذي كان من أهم ألسنة الشيعة بالمشرق، وكثيراً من رسائل كتاب العباسيين[4]

ولما توفي أبو اليسر خلفه في مهمته أبو هارون البغدادي[5] الذي قدم هو الآخر متجسسا، وقد تردد على الأندلس أعواما،ووفق لما لم يوفق له سلفه أبو اليسر، إذ ولاه عبيد الله المهدي بعد أبي اليسر الكتابة وديوان البريد في الدولة الفاطمية في تونس فضلاً عن

---

(1) هو محمد بن عبد الرحمان بن الحكم، ولد سنة 207 هـ. وتولى الملك بعد وفاة أبيه سنة 239هـ. وكان أميرا ذكيا فطنا. وفي عهده بدأت طلائع الثورة التي اضطلع بمقاومتها مدة حكمه الذي امتد خمسا وثلاثين سنة توفي سنة 273هـ. أنظر: الذهبى (شمس الدين محمد، المتوفى 748هـ/1374م): سير أعلام النبلاء، 8/ 263،264.

2 محمود مكى: التشيع فى الأندلس، 112.

3 أنظر: الذهبى: سير، 11:519.

4 المقرى (أحمد بن محمد، المتوفى 1041هـ/1632م): نفح الطيب، 4 / 130.

5 هو أبو جعفر أحمد بن أحمد بن محمد بن هارون البغدادي. أدخل إلى الأندلس كتب ابن قتيبة وبعض كتب الجاحظ. سمع منه بعض رجال الأندلس، ثم انصرف إلى المشرق بعدما تردد في الأندلس أعواما أنظر: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس،1:61.

القضاء والوثائق في أقاليم الدولة الفاطمية وقد أفاد الدولة الفاطمية بمعلومات عن الأوضاع الاجتماعية والدينية في الأندلس وله الفضل في نشر كتب الجاحظ وابن قتيبة ونشر تعاليم الشيعة الفاطميين، وكان له في ذلك رأي جميل ونفع عظيم، وكان له دور مهم في إذاعة تعاليم الشيعة العبيديين[1] ...

ومن دعاة الدولة الفاطمية وجواسيسها ابن حوقل النصيبى الذي دخل الأندلس مستتراً بالتجارة ويسميه ياقوت الحموي بالتاجر الموصلي، وقد ألف كتاباً بعنوان صورة الأرض سجل فيه دخل الدولة الأموية في الأندلس ومواردها الاقتصادية، ووصف طرقها ومسالكها فضلاً عن الناحية العسكرية، وقد دون هذه الموضوعات في دقة وحاول في كتابه أن يقنع الفاطميين بضرورة فتح الأندلس لكثرة خيراتها ولضعف أهلها في الدفاع عنها، ولكن لم يظفر مشروعه بالتأييد من جانب الفاطميين بعد أن انتقلت إلى مصر[2].

وتجدر الإشارة إلى أن مهمة هؤلاء الدُعاة كانت تمتاز بالتستر والسرية التامة، ولهذا فإن المصادر التاريخية لم تحتفظ لنا بأخبار وافية ومفصلة عنهم.

وجدير بالذكر أن دعاة الفاطميين أو جواسيسهم رغم أنهم لم ينجحوا فى مخططهم بالتمكين للتشيع بالأندلس فإنهم قد كسبوا بعض الشخصيات الأندلسية التى تشيعت فى أواخر عصر الإمارة ومنها:

1-محمد بن شجاع الوشقي ت 305 همن أهل وشقة. كان يرى جواز نكاح المتعة، وهو بدون شك متأثر في ذلك بالشيعة الاثني عشرية، وقد قتل هذا الرجل مصلوبا ببرشلونة سنة 301 هـ [3].

2-محمد بن إبراهيم بن حيون ت 305 هـ من أهل وادي الحجارة. سمع من ابن وضاح والخشني ونظرائهما بالأندلس. ورحل إلى المشرق فتردد هناك نحوا من خمس عشرة سنة. وسمع بمكة وبغداد وصنعاء ومصر والقيروان. وكان إماما في الحديث عالما حافظا للعلل. كان يُتهم بالتشيع لشيء كان يظهر منه في معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[4].

---

[1] ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ترجمة 119؛ وانظر: محمود مكى:التشيع في الأندلس، 22.

[2] ابن حوقل(أبو القاسم محمد، المتوفى 367 هـ/ 977 م): صورة الأرض، ليدن، 1938، 108-117.

[3] ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، 2:24.

[4] ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، 2:26.

3-عمر بن حفصون ت306هـ الذى خطب في أعماله برية لعبيد الله المهدى صاحب أفريقية، وأذن فيها بحي على خير العمل[1]، وهذه كانت أول محاولة لقلب نظام الحكم الأموي يقوم بها شيعي في الأندلس حيث ظهر في جنوب الأندلس وقام بثورات دامت لسنوات طويلة. دعما للمشروع الفاطمى الخاص بنشر مذهبهم الشيعى بالأندلس، والقضاء على الأمويين أتباع المذهب السنى[2].

وفى عصر الخلافة الأموية وجدنا من الأندلسيين من تشيع تحت تأثير جواسيس الفاطميين، بل ومنهم من غادر الأندلس وانضوى تحت لواء الفاطميين كابن عبد ربه صاحب العقد الفريد (ت 328هـ) وهو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي الأندلسي مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي ولد سنة 246هـ ونشأ بمدينة قرطبة وكان في شرخ شبابه صاحب لهو وطرب ثم رجع في كبره عن ذلك. قال ياقوت: و لأبى عمر أيضا أشعار كثيرة سماها الممحصات وذلك أنه نقض كل قطعة قالها في الصبا والغزل بقطعة في المواعظ والزهد[3]أما عن تشيعه فقد قال عنه ابن كثير: صاحب العقد كان فيه تشيع شنيع ومغالاة في أهل البيت[4]، وقال أيضاً:"كان من الفضلاء المكثرين والعلماء بأخبار الأولين والمتأخرين.. ويدل كثير من كلامه على تشيع فيه وميل إلى الحط من بني أمية وهذا عجيب منه لأنه أحد مواليهم وكان الأولى به أن يكون ممن يواليهم لا ممن يعاديهم"[5].

ويتضح التوجه الشيعي لابن عبدربه من خلال مطالعة كتابه العقد الفريد والذى يسفر عن ظواهر تمثل طابعا شيعيا صارخا منها: تشويه صورة أصحاب النبي محمد ﷺ حيث ذكر أن حسان بن ثابت رضي الله عنه بكى حين سمع قينة تغني لأنها شوقته لحياته

---

[1] ابن حزم، رسالة نقط العروس، رسائل، ج2، تحقيق إحسان عباس، بيروت – المؤسسة العربية للدراسات والنشر1983م، ط2،1987م، 84.

[2] ابن الخطيب (لسان الدين، المتوفى 776هـ/1374م): الإحاطة في أخبار غرناطة، ج4، تحقيق محمد عبدالله عنان، دار المعارف بمصر،1375هـ/1955م،مكتبة الخانجى، القاهرة، 1394هـ/1974م،1395 هـ /1975م، 1397هـ/1977م،38-42.

[3] أنظر: معجم الأدباء، تحقيق أحمد فريد رفاعى، دار المأمون ومكتبة القراء والثقافة الأدبية، 1: 614.

[4] أنظر: البداية والنهاية، دار الغد العربي، القاهرة، 10: 21.

[5] البداية والنهاية، 11:194.

الجاهلية[1]، ونقل عن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر. رضي الله عنهما. أنه شرب الخمر فحُد: قال ابن عبد ربه: ومنهم عبد الله بن عمر بن الخطاب شرب بمصر فحده عمرو بن العاص سرّاً فلما قدم على عمر جلده حداً آخر علانية [2]، ونقل عن أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان. رضي الله عنهما. أنه كان يمنع الغناء لأنه كان لا يستهويه ولا تميل له نفسه! وحين سمع أحد المغنين يُلحن أبياتا يعشقها قلبه أجازه وأمر بأن تضرب الأوتار[3]، وذكر ابن عبد ربه أيضا عن أمير المؤمنين معاوية. رضي الله عنه. أنه كان يأمر أصحابه بلعن أمير المؤمنين علي. رضي الله عنه. على المنابر وفي المجتمعات وفي المجالس ونقل عنه خطبا بذيئة، وكذلك أساء في نقولاته عن عمرو بن العاص[4].

الجدير بالذكر أن الخطر الشيعى امتد إلى قائد فرسان الخليفة عبدالرحمن الناصر وهو أحمد بن إسحاق، إذ إن مطامعه تلاقت مع مخطط الفاطميين الشيعى، ومن ثم اتصل بهم فى العام 326هـ ورسم خطة يسلم بمقتضاها الأندلس لهم، بيد أن المخطط تم كشفه، وأحبط عبدالرحمن الناصر مسعاه وقبض عليه وحاكمه بعد أن رماه بتهمة التشيع، والتى أودت بحياته[5].

ومن الشيعة فى عصر الخلافة الشاعر المشهور ابن هانئ الأندلسي (ت 362هـ/972م)، أحد شعراء غرناطة، والذى كان من ثمرات الدعوة الفاطمية. قضى فترة شبابه في الأندلس ثم التحق بخدمة المعز لدين الله الفاطمي ثم صار الشاعر الرسمي لدعوة الفاطميين ويُعد شعره وثيقة عن الفكر الفاطمي في مختلف شؤون الدين والعقيدة [6].

---

[1] أنظر: العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قميحة، بيروت – دار الكتب العلمية، ط1، 1404هـ/1983م، 7:7.

[2] العقد الفريد، 8:62.

[3] العقد الفريد، 19:7-21.

[4] العقد الفريد، 4:114.

[5] دوزى: المسلمون فى الأندلس، ج2، ترجمة حسن حبشى، القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994م، 33. ولعل مطامع قائد فرسان الناصر أحمد بن محمد القرشى تتضح من خلال الكتاب الذى أرسله له الناصر عنه أنظر: مجهول: أخبار مجموعة، 128،129.

[6] ابن الأبار: التكملة، ترجمة 350 ؛ ولمزيد من التفاصيل عن دور ابن هانىء فى نشر التشيع من خلال شعره. أنظر: سعاد يمون: التشيع فى شعر ابن هانىء، أطروحة ماجستير، كلية الآداب، جامعة باتنة، 2005، 2006، 10 وما بعدها.

ولابد مما ليس منه بد أن نقرر حقيقة مفادها أن المخطط الفاطمى الشيعى فضلا عن التواصل العلمى بين الأندلس والمشرق كان لهما أثر كبير فى تسرب بعض الأفكار الشيعية إلى الثقافة والأدب الأندلسى. حيث انتقلت رسائل إخوان الصفا إلى الأندلس بما كانت تحويه من فكر شيعى باطنى. فضلاً عن انتقال دواوين ومصنفات أشهر الشعراء والكُتاب والأدباء الشيعة في بغداد إلى الأندلس وبروز تأثيرهم ومنهم أبو بكر الخوارزمي (ت 385هـ/995م) وبديع الزمان الهمذاني (398هـ/1007م) والشريف الرضي (ت 405هـ/1014م) ومهيار الديلمي (ت 428هـ/1036م).

وقد ذهب بعض المحدثين إلى أن المنذر بن سعيد البلوطى كان ينحو منحى شيعيا حيث قال: ومن الذين تأثروا بالتعاليم الشيعية أيضا: منذر بن سعيد البلوطي ت 355 هـ فبالرغم من أن مذهبه في الفروع كان مذهب النظار والاحتجاج وترك التقليد، وكان يميل إلى رأي داوود الظاهري ويحتج له، إلا أنه في الأصول كان يذهب مذهب أهل الكلام، بصيرا بالجدل، لهجا بالاحتجاج. وقد تأثر ببعض الآراء الشيعية، ومن مظاهر هذا التأثر ما نُقل عنه من آراء عمد فيها إلى تأويل القرآن الكريم تأويلات باطنية. وكان في ذلك متأثرا بالتأويلات الشيعية[1].

والرأى عندنا أن هذا مجانب للصواب، ومن حاول أن ينسبه للشيعة استشهد برده على ابن عبد ربه حيث وقع له وهو قاض أنه طالع أرجوزة لابن عبدربه ذكر فيها الخلفاء وجعل معاوية رابعهم ولم يذكر علياً فيهم ثم واصل ذكر الخلفاء إلى عبدالرحمن بن محمد فغضب المنذر وسب ابن عبدربه وكتب فى حاشية الكتاب:

أو ما على لا برحت ملعنا .... يا ابن الخبيثة عندكم بإمام.

رب الكساء وخير آل محمد .... دانى الولاء مقدم الإسلام[2].

---

[1] محمود مكى: التشيع، 18.

[2] نقلا عن المقرى: نفح الطيب، 2:512:511 ؛ وانظر: كتابنا تاريخ أهل الظاهر، القاهرة – دار الآفاق العربية 2014م، 156. ولعل ما ذكره ابن عبد ربه من إسقاط على بن أبى طالب كان قبل أن يميل إلى الشيعة حيث الطعن فى معاوية والصحابة.

وهذا المنحى منحى سنياً إذ إن الرجل سعى حسب معتقده السنى لتأكيد حقيقة انتساب على بن أبى طالب للخلفاء الراشدين، ورد على شخص غلبته نزعته الأمويه أن ينحى اسم على بن أبى طالب جانبا فى أرجوزته تقربا لبنى أمية ليس إلا.

وقد ذهب أحد الباحثين المحدثين إلى أن المنذر استقى تشيعه من عدة مصادر يمكن حصرها فى التالى:

1- قبيلته البربرية نفزة.

2- أسرته التى اعتنقت مبادئ شيعية على حد قوله.

3- البيئة التى نشأ فيها كالجوف وماردة والثغور الشرقية، فهذه البيئات كانت أكثر بلاد الأندلس صلاحية للمبادئ الشيعية.

4- الثقافة التي تلقاها في المشرق فنحن نعلم أنه درس مع أبي بكر بن المنذر النيسابوري في مكة كتاباً يتناول الفرق الإسلامية واختلافها وهو كتاب الإشراف الذي ربما عالج تعاليم بعض فرق الشيعة فلقيت هذه التعاليم من نفس منذر رغبة وهوى ([1]).

ثم راح يذكر مظهراً من مظاهر تشيع المنذر والذى ذكره بقوله:"ومظهر آخر من مظاهر تشيع منذر هو في ما نقل عنه من آراء عمد فيها إلى تأويل القرآن تأويلات غريبة تعرض ابن حزم بعد ذلك بقرن لتفنيدها والرد عليها وقد تأثر في ذلك بالتأويلات الباطنية التي أكثر منها الشيعة وأصبحت من أهم ما يميزهم، وربما كثر لذلك دوران كلمات الظاهر والباطن في كلامه وقد حفظ لنا النباهي منه جملة صالحة"([2]).

ويمكننا أن نتعقب ما سبق فى النقاط التالية:

أولا: بخصوص قبيلة نفزة فلم تكن القبيلة شيعية خالصة بل عرفت الشيعة والأباضية والسنة كذلك.

ثانيا: أما عن أسرة منذر فلم يذكر أحد من كتاب سيرته النقاد والفقهاء والمحدثين أنها كانت شيعية ([3]).

---

[1] محمود مكى: التشيع، 110.

[2] محمود مكى: التشيع، 111.

[3] انظر: الذهبى: سيرأعلام النبلاء، 16:174-178 ؛ البناهى (أبوالحسن عبدالله، المتوفى بعد عام 793هـ/1390م): تاريخ قضاة الأندلس، نشر ليفى بروفنسال، دار الكتاب المصرى،1948م، 66-75.

ثالثا: أن ظهور بعض الشيعة او المتشيعين بالجوف أو بباردة أو بغيرها لا يعنى أن هذه البيئات تحولت إلى الشيعة، لا سيما أن عبدالرحمن الناصر كان حريصا جدا على تطهير الأندلس من التشيع، وفطنا جدا لمخطط الفاطميين الشيعى.

رابعا: أن الناصر لما علم بأمر المنذر سأل عنه وامتحنه أولا قبل أن يوسد إليه منصب القضاء(1). فهل يا ترى من المعقول أن يعلم الناصر عن المنذر أنه من الشيعة ويوليه منصب القضاء، ثم يجعله على أخطر منصب من مناصب القضاء وهو قاضى القضاة ؟!.

خامسا: أن كتاب الإشراف على مذاهب العلماء لابن المنذر النيسابورى (ت 319هـ) ليس فى الفرق الإسلامية، بل هو فى الفقه، وهو مختصر لكتاب آخر لابن المنذر اسمه الأوسط فى السنن والإجماع والاختلاف (2)، وليس فيه معالجة لتعاليم الشيعة ولا غيرها من الفرق.

سادسا: أن ما ذكره ابن حزم بشأن تأويل منذر بن سعيد للجنة لا دخل له أصلا بتأويلات الباطنية مطلقا. بل تأوله كان قائما على النص والعقل(3).

سابعا: أن ما ورد بشأن ذكر المنذر للظاهر والباطن مرارا فلا دخل له أصلا بالتشيع ولا بالباطنية. بل إن الرجل يؤكد على أن للعباد الظاهر وأن أمر الباطن هذا لربهم، وهذا الأمر لطالما عرضه ابن حزم مرارا فى كتبه، ولم يتهمه أحد بالتشيع، وعرضه جل أهل الإسلام ولم يتهمهم أحد بالتشيع لأجل ذلك.

ثامنا: أن المقدسى وصف موقف الأندلسيين من الشيعة في القرن الرابع – وهو الذى عاش فيه المنذر– بقوله:"إن الأندلسيين إذا عثروا على شيعي فربما قتلوه"(4). فهل يا ترى كان الأندلسيون سيسمحون لرجل كمنذر أن يلى منصب قاضى القضاة، وهو شيعى ويتركوه على قيد الحياة، بل ويتركوا من ولاه إن كان شيعيا ؟!!

كانت الشيعة فى القرن الخامس الهجرى/ الحادي عشر الميلادي منحصرة في مذهبي الباطنية والكيسانية(5)، ويرجع وجود الباطنية بالأندلس إلى أوائل القرن الثالث الهجرى

---

1 الذهبى: سير، 16:175.

2 أنظر: ابن المنذر (أبو بكر محمد، المتوفى 319هـ/831م): الإشراف، ج1، تحقيق أبو حماد صغير أحمد الأنصارى، الإمارات – مكتبة مكة الثقافية، الإمارات 1425هـ/2004م، 18،25.

3 أنظر: ابن حزم: الفصل، 2:393.

4 أنظر: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن، 1909م، ط2، 236.

5 انظر: المحلى، 5/، 376 ؛ الفصل،3:113، والكيسانية هم أتباع المختار بن أبى عبيد الثقفى الذى أخذ بثأر الحسين بن على وقتل أكثر الذين قتلوا حسينا بكربلاء، وكان يسمى كيسان، وقيل إنه أخذ مقالته عن مولى لعلى بن أبى طالب يسمى كيسان وقد ذهب ابن حزم إلى أن الكيسانية طائفة من الزيدية. أنظر: الفصل،3:112، فى حين ذهب البغدادى إلى أنهم من الرافضة أنظر: الفرق بين الفرق، تحقيق محمد عثمان الخشت، الرياض – مكتبة الساعي 1409هـ/1988م، 46.

/التاسع الميلادى حيث خرج رجل بشرق الأندلس تكلم فى الدين بآراء ذات طابع باطنى وادعى النبوة وتأول القرآن على غير تأويله واتبعه على رأيه جماعه من الغوغاء فأمر عبدالرحمن الأوسط بصلبه سنة237هـ/851م، وفى أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع ظهر فى إستجة محمد بن أصبغ بن لبيب وكان يتكلم فى مذاهب العلم الباطني(1).

ومن الشخصيات التى جمعت بين الاعتزال والفكر الباطنى فى عصر الخلافة ابن مسرة (ت 319هـ)والذى تبنى أفكارا مستوحاة من تعاليم الباطنية كقوله:"إنه من الممكن اكتساب النبوة وإنها ليست اختصاصاً أصلا"، وكجع لتدبير العالم إلى العرش، والذى لا يخلو من التأثر بعقيدة الإسماعيلية على حد قول أستاذنا الدكتور محمود مكى(2).

وفى القرن الخامس الهجري نعرف من ابن حزم أن أهل بلفيق بغرب المرية كانوا شيعة لكنه لم يشر إلى تفاصيل خاصة بهم ولا إلى مذهبهم الذى ينتمون إليه(3) وكذا فقد كان بنو زيرى الصنهاجيون حكام غرناطة يدينون بالدعوة الشيعية، وكانوا يعتقدونه أن أئمتهم مختارون من قبل الله، وأن عقولهم أجل وأنفس من عقول سائر الناس، فضلا عن بنى حمود العلويين الذين أظهروا بعض المبادئ الشيعية كالقول بعدم تمام الديانة إلا بالإمامة، وأنه يجب على كل مسلم أن يعرف إمام زمانه، وأنهم الوحيدون الجديرون بالخلافة لقرابتهم من النبى ﷺ، وأن من سواهم ممن ولى الخلافة فهو معتد غاصب(4).

وتجدر الإشارة إلى أن دولة الحمود يين رغم قيامها على أصول شيعية إلا أن تشيعهم لم يكن ظاهر المعالم، بل كان تشيعهم أقل تطرفا ليس في الاعتقاد، ولكن في سلوكهم مع الرعية وسياستهم، حيث إنهم أخذوا من المذهب الشيعي بالقدر الذي يحقق لهم مصالحهم السياسية.نعم إنهم كانوا يدينون ببعض المبادئ الشيعية مثل القول بأنه"لا تتم ديانة إلا بإمام"، وأنه يجب على كل مسلم أن يعرف إمام زمانه، إلا أنهم لم يحاولوا فرض هذه المبادئ على غيرهم. والسبب في كونهم أقل تطرفا هو بغض الناس لهم وكراهية الأندلس للاتجاه

---

1 ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس،2:702 ؛ وانظر: بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلس، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة – مكتبة الثقافة الدينية، 1955م، 325.

2 أنظر: التشيع، 108،109.

3 انظر: نقط العروس، رسائل2:115.

4 ليفى بروفنسال، الحضارة العربية فى إسبانيا، ترجمة الطاهر مكى، القاهرة – دار المعارف، 1405هـ /1985م، 164 ؛ وأنظر: محمود مكى، التشيع، 130،133.

الشيعي، لأن الاتجاه السني كان هو السائد في الأندلس.ولكن على الرغم من ذلك، فقد انتشرت في عهد الحموديين الدعوة الشيعية وثقافتها انتشارا واضحا، وانتشرت كتبهم ومؤلفاتهم عن طريق الرحالة الشيعة الذين قدموا إلى الأندلس من بغداد.

ورغم أن الحموديين كانوا أصحاب لين فى سلوكهم الشيعى تجاه الرعية، إلا أنهم كانوا أصحاب شطط كسائر الشيعة فى المعتقد والأفكار، ولعل ذلك يتضح جليا من خلال نص فريد لأبى جعفر بن عباس وزير زهير الصقلى حاكم المرية ذكر فيه معتقد القوم حال وصفه أحد حكام بنى حمود بقوله:"مُلحِدٌ رِجْسٌ، لا يؤمن بالله واليوم الآخر، ولا يؤاخى إلا كلَّ منافق كافر، يسب الصحابة والأبرار، ويُكَذِّبُ بالجنة والنار، ولا يرجو حساباً ولا يحذر عقاباً، ادعى خلافة الله فهي منه تضج... يأخذ الرشوة على بيت الله الحرام، ويستخف بشرائع الإسلام... بئس الشيعة وقودُ جهنم وحطبُها، وعليهم يزداد حنقها وغضبُها"[1].

لقد ظهرت ميول شيعية -على أثر تولى بنو حمود للسلطة بالأندلس-لدى بعض الشخصيات خاصة الشعراء من أمثال غانم بن وليد المخزومى الأديب، الذى وصف إدريس بن يحيى الملقب بالعالي بإمام الهدى، وعبادة بن عبد الله بن عبادة الخزرجي الأنصاري (ت419هـ) المعروف بابن ماء السماء الذى كان يتشيع ويتعصب ضد بني أمية[2]، ووقف كل مؤلفاته على الإشادة بالناصر بن على بن حمود [3]، وابن دراج القسطلى الذى استخدم فكرة القبس أو النور الذى ينتقل من إمام إلى آخر عند مدحه لكل من على بن حمود وأخيه القاسم، كما استخدم فى شعره فكرة الحلول والتناسخ والشفاعة والوصاية وكل هذه من مبادئ الشيعة الأساسية[4].

---

[1] نقلا عن ابن بسام (أبو الحسن على ت542هـ/1147م): الذخيرة، ج2، بيروت - دار الثقافة 1399هـ/1979م، ليبيا وتونس - الدار العربية للكتاب 1398هـ/1978م، القسم الأول، 164،165.

[2] الضبى(أحمد بن يحيى، المتوفى 599هـ/1202م): بغية الملتمس، دار الكتاب العربى،1967م، 396.

[3] ابن الآبار، الحلة السيراء، ج2، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة - دار المعارف 1985م، 27،28 ؛ وانظر: ابن سعيد (أبوالحسن على بن موسى، المتوفى 685هـ/1286م): المغرب، 413،414/1 ؛ هنري بيريس، الشعر الأندلسي، ترجمة الطاهر مكى، القاهرة - دار المعارف، 1408هـ/1988م،ص90،91 ؛ محمود مكى، التشيع فى الأندلس، 141-144.

[4] أشرف على دعدور، الصورة الفنية فى شعر ابن دراج، القاهرة - مكتبة نهضة الشرق 1994م، 393-397.

ولم يبق من شعر ابن دراج القسطلي (ت 421هـ/ 1030م) الشيعي إلا قصيدة مدح بها علي بن حمود واحتفظ لنا ابن بسام[1]بأكثرها، مفضلاً إياها على هاشميات كُثيّر عزة والكُميت بن زيد والسيد الحميري ودعبل، وفي هذه القصيدة يحتج ابن دراج لإمامة الحموديين ويقول أنها ثابتة بنص القرآن وبدليل العقل، وبحكم حقهم في ميراث النبي:

فأنتم هُداة حياة وموت وأنتم أئمة فعل وقيل

وسادات من حل جنات عدن جميع شبابهم والكهول

وأنتم خلائف دنيا ودين بحكم الكتاب وحكم العقول

ويعتبر ابن دراج أول من ذكر مناقب أهل البيت في أسلوب حزين مؤثر، وكان نواة للقصائد الأندلسية التي تناولت مراثي أهل البيت، والحقيقة أن هذه القصيدة تعد من خير ما أنتجه الأدب الشيعي، وقد بلغت في وقتها من الانتشار حداً بعيداً واهتم بها رواة الشعر وخصوها بالدراسة والحفظ[2].

ومن أبرز الشعراء الذين تشيعوا لبنى حمود ابن الحناط القرطبى (ت 437هـ)، والذى استخدم فى شعره مصطلحات شيعية كالوصى، وأظهر تشيعه حال مدحه للقاسم بن حمود فى قصيدة سجل فيها هزيمة عبد الرحمن المرتضى في سنة 409/ 1018 على أسوار غرناطة وكان القاسم قد احتفل بذلك اليوم في قرطبة، وأنشده ابن الحناط يومئذ:

لك الله خيرانٌ مضى لسبيله وأصبح أمر الله في ابن رسولِهِ

وفُرِّقَ جمعُ الكفر واجتمع الورى على ابن حبيب الله بعد خليله

وتظهر في هذه القصيدة العصبية البربرية التي كانت سند الدعوة العلوية، فيقول مُصوِّراً هزيمة خيران:

ولما دعا الشيطان في الخيل حزبه وأقبل حزب الله فوق خيوله

كتائبُ من صِنهاجةٍ وزناتةٍ تضايق في عرض الفضاء وطوله

---

[1] أنظر: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول 1: 70-73.

[2] ديوان ابن دراج، تحقيق محمود علي مكي، دمشق - المكتب الإسلامي 1389هـ، 68 ؛ وانظر: ابن الأبار: تكملة، ترجمة 1695؛ مكي: التشيع، 138-139.

تقدم خيران إليها بزعمه ليدرك ما قد فاته من ذحوله

فأحجم تحت النقع والخيل تَدَّعى كما ازدلف الليث الهزبر لغيله(1).

ونعرف من ابن حزم أن الباطنية كانت متواجدة بالأندلس فى القرن الخامس الهجرى وذلك من خلال فتواه التى أعلن فيها أن القائل بأن فى الإسلام شيئا باطنا غير الأمور الظاهرة لكل الناس فهو كافر ويجب أن يقتل(2). وفى فتوى أخرى نراه يؤكد تواجد الباطنية ويتعقب أفكارهم بقوله:"وكل ما فيه (أى القرآن) من خبر عن نبي من الأنبياء أو مسخ أو عذاب أو نعيم أو غير ذلك فهو حق على ظاهره لا رمز في شيء من ذلك"(3).

كذلك عرفت الأندلس الكيسانية ونعرف من ابن حزم أنه التقى ببعض فقهائهم وكانوا كثيرين كابن نفق الليل المحدث بطلبيرة، ومحمد بن عبدالله الكاتب الذى ناظره ابن حزم حول"هل الخضر مازال حيا"؟(4).

ويبدو أن الشيعة قد مثلوا خطرا على المجتمع الأندلسى من خلال انتشار أفكارهم ومبادئهم انتشارا دفع أعلام أهل السنة للتصدى لها وعلى رأسهم ابن حزم الذى عمد إلى جمع مبادئهم، والرد عليها فى رسائل ضمنها كتابه الفصل – فيما بعد – لتكون فى متناول طلبة العلم، ومن ذلك انتقاده لقولهم بالرجعة(5). كما عارض قولهم بتناسخ الأرواح، وانتقد قولهم بفناء الجنة والنار، وعدم فناء الدنيا(6).

وإلى جانب الكيسانية فقد عرفت الأندلس الشيعة الإمامية التى وجد لها بعض الأتباع وإن كانوا قلة، وهو ما نعرفه من ابن حزم الذى انتقد الكثير من أصولها ومنها القول بإجازة نكاح تسع نسوة، وتحريم الكرنب لأنه نبت على دم الحسين ولم يكن قبل ذلك، والادعاء بأن

---

[1] ابن بسام: الذخيرة، القسم الأول، 1:396.

[2] أنظر: المحلى 5:376.

[3] انظر: علم الكلام على مذهب أهل السنة، تحقيق أحمد حجازى السقا، القاهرة – المكتب الثقافي للنشر والتوزيع 1989م، 39.

[4] أنظر: الفصل،3:113،114.

[5] أنظر: الفصل،3:112،113.

[6] نفس المصدر،3:115،116.

القرآن محرف إذ دخله ماليس منه، وحذف منه الكثير، وقد تشدد ابن حزم فى حكمه على هذه الفرقة حتى أنه نسبهم إلى الكفر لتكذيبهم الرسول (ص) وصريح القرآن[1].

وأما بشأن التأثير الشيعى فى المجتمع الأندلسى فلا يمكننا أن نغض الطرف عن تشيع البعض من عرب وبربر الأندلس والتسمية بأسماء أهل البيت، وظهور عقيدة المهدي المنتظر كأمل في رفع الظلم والعسف عن المسلمين عامة والشيعة خاصة، فضلاً عن هذا انتشار بعض أفكار ومعتقدات الشيعة في هذه الفترة مثل الرجعة، والجفر والتناسخ.[2].

لقد عرفت الأندلس هذا المعتقد – المهدى المنتظر- منذ دخول الإسلام إليها، ثم بدأت تترسخ بها على أيدي علماء من أهل السنة والشيعة على السواء، حتى أن أحد الأمراء الأمويين وهو أحمد بن معاوية بن هشام الأموي المعروف بالقط الثائر أعلن فى عام288هـ/901م أنه المهدى المنتظر، وهذه هى المرة الأولى التى نسمع فيها بهذا المصطلح فى الأندلس، وبعد ذلك ازدادت ترسيخا من خلال محاولات الفاطميين فى نشر الدعوة الشيعية وأصولها بالأندلس[3].

وفى عصر الخلافة الأموية وجدنا محمد بن هشام بن عبدالجبار بن عبدالرحمن الناصر يطيح بهشام المؤيد بن الحكم المستنصر من الخلافة فى العام 399هـ وتسمى بالمهدى [4]، وتعتبر هذه هى التسمية الأولى لخليفة سنى أموى بهذا الاسم مما يؤكد حقيقة الأثر الفكرى للشيعة بخصوص قضية التلقب بلقب المهدى أو التسمى به.

كذلك كان من آثار حب أهل البيت أولا ثم التشيع ثانيا أن عرفت الاحتفالات بيوم عاشوراء وهو اليوم الذى استشهد فيه الإمام الحسين بن على رضى الله عنه وهو العاشر من المحرم – وكان الصالحون يذبحون الذبائح، ويعدون الطعام، ويدعون الناس لتناوله احتفالا بهذه الليلة، وكان للمعلمين نصيب من الطعام أو جعل يجعل لهم أقره فقهاء المالكية وأجازوه[5]، ويرتبط بعاشوراء الاحتفال بذكرى استشهاد الإمام الحسين، حيث كانت تقام

---

[1] أنظر: الفصل،116،115:3.

[2] مكي: التشيع، 131-132.

[3] دوزى، المسلمون فى الأندلس،2: 12،13 ؛ وانظر: محمود مكى: التشيع فى الأندلس، 101.

[4] ابن حزم: رسالة فى ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس، رسائل ابن حزم، 2: 196.

[5] الونشريسى (محمد بن يحيى، المتوفى 904هـ/1498م): المعيار، 8 / 254.

المآتم، وتقدم الأطعمة، وتضاء الشموع، وتوقد البخور، وتنشد المراثى الحسنة التى كانت تسمى بالحسينية.

ومن جملة الآثار التى خلفها الشيعة فى الأندلس مسألة المفاضلة بين الصحابة، والتى تأصلت أولا فى المشرق(1). فقد ذهبت جميع فرق الشيعة إلى أن أفضل الأمة بعد رسول الله هو على بن أبى طالب (2).

لقد كان انتشار رأى الشيعة السابق كفيلا بإثارة كمائن أتباع الفرق الإسلامية الأخرى بالأندلس، وكذا مذاهب أهل السنة الفقهية للرد عليهم، وتجلية المسألة فرأينا الخوارج يذهبون إلى أن أبا بكر هو أفضل الصحابة بعد رسول الله ثم عمر، ورأينا بعضا من المرجئة والمعتزلة يذهبون إلى رأى الشيعة، فى حين ذهب البعض الآخر منهما إلى رأى الخوارج(3).

وأما الأشاعرة فقد وجدنا أبا الحسن الأ شعرى يتحدث عن مسألة المفاضلة دون حسم حيث قال:"واختلفوا في التفضيل: فقال قائلون: أفضل الناس بعد رسول ﷺ: أبو بكر ,ثم عمر , ثم عثمان , ثم علي،وقال قائلون: أفضل الناس بعد رسول ﷺ: أبو بكر , ثم عمر , ثم عثمان،وقال قائلون: نقول: أبو بكر , ثم عمر, ثم عثمان, ثم نسكت بعد ذلك،وقال قائلون: أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ: علي ثم بعده أبوبكر، وقال قائلون: لاندري أبو بكر أفضل أم علي(4).

وعلى نفس المنوال وجدنا الباقلانى الذى انتشرت كتبه وأقواله بالأندلس فى عصر الخلافة يذهب إلى عدم تحديد الأفضل فيقول:"أن الكلام في التفضيل مسألة اجتهاد لا يبلغ الخطأ بصاحبه فيها منزلة الفسق وما يوجب البراءة: لأن الفضائل المروية أكثرها متقابل

---

1 ترجع هذه المسألة إلى أيام النبى ﷺ حيث كان الصحابة يفاضلون أبا بكر على عمر وعمر على عثمان ثم قبيل وفاته (ص) اشتدت هذه المسألة من خلال الطائفة التى التفت حول على بن أبى طالب وطلبت منه أن يطلب الخلافة لنفسه، ثم ازداد الأمر شدة بعد نشوب الحرب بين على ومعاوية، والتى كانت بداية حقيقية لنشأة كل من الشيعة والخوارج، ومن ثم تبلورت هذه المسألة وبدا القول فيها أحد المبادئ الهامة لدى هاتين الفرقتين ومن تبعهما من الفرق الأخرى. أنظر:عبد الباقى السيد: ابن حزم الظاهرى، 294.

2 ابن حزم، الفصل،3: 32.

3 ابن حزم، الفصل،3: 32.

4أنظر: مقالات الإسلاميين، ج2، عنى بتصحيحه ربتر، استنبول – مطبعة الدولة 1929م، 147.

متعارض في الفضل وما يذكر من السبق إلى الإسلام والجهاد وغير ذلك محتمل التأويل"[1]، وقال أيضا:"فأما القائلون بأنا نقف فيهم من غير قطع على تفضيل أحد منهم أو قطع تساويهم في الفضل , فإنهم أقرب إلى الصواب , وأقدر على الأحتجاج"[2].

كذلك استنفر أهل السنة همتهم وشاركوا فى تجلية هذا الموضوع فرأينا المالكية باعتبارهم السواد الأعظم من أهل السنة فى الأندلس يتابعون الإمام مالك فى قوله: ما أدركتُ أحدًا ممن أقتدى به يشك في تقديم أبي بكر وعمر.

ورأينا بعض أهل الظاهر يرددون قول إمام مذهبهم داود بن على بأن أفضل الناس بعد الأنبياء أصحاب رسول الله، وأفضلهم الأولون من المهاجرين ثم الأولون من الأنصار ثم من بعدهم، وكان هذا الرأي منتشرا بين بعض الأندلسيين ومنهم ابن عبدالبر النمرى صاحب ابن حزم والذى تمسك به منذ أن كان ظاهري المذهب، وظل يعتقده حتى بعد تحوله للمذهب المالكى، وكذا كان هناك غيره من متقدمى طلبة العلم الذين رآهم ابن حزم والتقى بهم[3]. فى حين أن رأسا من رؤوس الظاهرية هو ابن حزم ذهب فى رسالة مفردة صنفها فى عصر الخلافة وتحديدا فى العام 420هـ إلى أن أفضل الناس بعد الأنبياء نساء النبى ثم أبوبكر ثم عمر بن الخطاب، ثم المهاجرين الأولين ولم يقطع بفضل واحد منهم ثم أهل العقبة ثم أهل بدر ثم أهل المشاهد مشهدا مشهدا حتى الحديبية[4].

وأما الشافعية الذين عرفتهم الأندلس فتمسكوا بقول إمامهم الشافعى:"ما اختلفَ أحدٌ منَ الصحابةِ والتابعينَ في تفضيلِ أبي بكرٍ وعمرَ وتقديمهما على جميعِ الصحابةِ، وإنَّما اختلفَ مَنِ اختلفَ منهم في عليٍّ وعثمانَ"[5].

كذلك روج بعض الحنابلة الذين عرفتهم الأندلس لرأى إمامهم أحمد بن حنبل بشأن المفاضلة حيث قال:"لم يكن بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسم اختلاف أن عثمان افضل من علي".

---

[1] أنظر: مناقب الأئمة الأربعة، تحقيق سميرة فرحات، دار المنتخب العربى، ط1422،1هـ/ 2002م، 295.

[2] مناقب الأئمة الأربعة، 513.

[3] البغدادى، الفرق، 302 ؛ وأنظر: ابن حزم، الفصل،3: 33،32.

[4] أنظر: رسالة المفاضلة بين الصحابة، نشر وتحقيق سعيد الأفغاني، بيروت – دار الفكر العربي ط1389،2هـ/1969م، 264،173-267.

[5] نقلا عن البيهقى (أبو بكر أحمد، المتوفى 458هـ/1065م): الاعتقاد، تحقيق أحمد بن إبراهيم أبو العينين، دار الفضيلة، 1420هـ/1999م، 192.

ولابد مما ليس منه بد أن نذكر أن بعضا من أهل السنة بالأندلس تأثر بالشيعة فى تفضيلهم لعلى بن أبى طالب على أبى بكر، وكان اعتمادهم فى ذلك على ما ورد عن الصحابى الجليل أبى الطفيل عامر بن وائلة من أنه كان يعترف بفضل أبي بكر وعمر , لكنه يقدم عليا حسب ما نقله ابن عبد البر(1).

ويمكننا أن نذهب إلى أن رأى أهل السنة على اختلاف مذاهبهم الفقهية – باستثناء من ذهب منهم إلى تقديم على بن أبى طالب على أبى بكر- كان يهدف إلى مقاومة بنى حمود العلويين الذين كانوا يدعون أحقيتهم بالخلافة اعتمادا على انتسابهم لعلى وفاطمة(2).

كذلك يمكننا أن نذهب إلى أن مسألة المفاضلة بين الصحابة وإن كانت أثرا شيعيا بالمجتمع الأندلسى فإنها خرجت بالخلاف الفكرى بين الشيعة ومخالفيهم من مرحلة الخلاف الشيعى الخارجى، والشيعى المعتزلى، والشيعى الأشعرى، والشيعى المرجئى، والشيعى السنى إلى مرحلة الخلاف الأشعرى السنى ممثلا فيما وقع بين الأشاعرة والظاهرية من ردود وتعقبات حول تقديم نساء النبى على جميع الصحابة، ثم أبى بكر بعدهن، ثم الخلاف السنى السنى أو الخلاف المالكى الظاهرى، والذى تمثل فيما وقع بين أحد أقطاب المالكية فى عصره وهو مكى بن أبى طالب وبين أحد رؤوس الظاهرية وهو ابن حزم لتفضيله نساء النبى على أبى بكر وعمر(3).

ومن الآثار الفكرية للشيعة بالأندلس إثارة قضية الحرب بين على ومعاوية، ومن هو صاحب الحق فيها، فقد ذهب جميع الشيعة إلى أن عليا كان المصيب فى هذه الحرب، وكل من خالفه على خطأ(4).

وقد تبنى جمهور المعتزلة وبعض المرجئة رأى الشيعة الآنف الذكر. فى حين ذهبت الخوارج إلى أن عليا مصيب فى قتاله أهل الجمل يعنون أصحاب عائشة، وأهل صفين يعنون أصحاب معاوية، ومخطئ في قتاله أهل النهروان، فى حين توقف جمهور أهل السنة فى حرب

---

[1] نقلا عن ابن حجر (شهاب الدين أحمد، المتوفى 852هـ/1449م): الإصابة فى تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت – دار الجيل، 4: 2278.

[2] عبدالباقى السيد: ابن حزم، 295.

[3] رسالة المفاضلة، ص258،216،210،205،199،197 ؛ وأنظر: الفصل،3: 46.

[4] ابن حزم، الفصل،3: 78.

على لمعاوية، وذهب بعضهم إلى نفس مذهب الشيعة[1]، وعلى رأس هؤلاء ابن حزم الظاهرى أحد فقهاء الأندلس الكبار الذى أراد أفتى رغم نزعته الأمويه بأن عليا هو المصيب فى الحرب، وأنه صاحب الحق فله أجرين أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، ومعاوية ومن معه مخطئون مأجورون أجرا واحدا وهم مؤمنين باغين[2].

لقد كان الجهر برأى كرأى ابن حزم كفيلاً بتحول الخلاف حول هذه القضية من الخلاف الشيعى السنى بالأندلس إلى الخلاف السنى السنى إذ رأينا معارضة شديدة لرأى ابن حزم من قبل طوائف سنية غلبت عليها النزعة الأموية، كانوا يذهبون إلى تصويب محاربى يوم الجمل (أصحاب عائشة) ويوم صفين (أصحاب معاوية)[3].

ولابد مما ليس منه بد أن نجلى حقيقة موقف الدولة الأموية السنية وفقهائها من الشيعة والمتشيعين، والذى تمثل فى التالى:

أولا: تسخير الدعاية الإعلامية الأموية لإظهار الخلفاء الراشدين ومعاوية دون ذكر على بن أبى طالب فى جملة الخلفاء، وذلك فى أرجوزة صاغها ابن عبد ربه الأموى قبل أن يميل إلى التشيع كما ذكرنا آنفا.

ثانيا: انتقاص على بن أبى طالب وابنه الحسن كرد فعل لطعن الشيعة فى الصحابة، وهذا الأمر صدر من أحد علماء السنة المالكية بالأندلس وهو محمد بن أحمد بن قادم القرطبي (ت 380)، وقد وجد معارضة من ابن الفرضى الذى ضعفه وصفه بأنه"غير ضابط لنفسه، ولا مالك للسانه"[4].

ثالثا: مواجهة المخطط الفاطمى بشأن الأندلس من خلال مخطط علمى رفع لواءه أحد أعلام السنة وهو ابن الأزرق الحصنى (ت 385) والذى عمد إلى تكذيب ما يدعيه الشيعة في مسألة المهدى، وروى عن النبي ما نصه أنه لا مَهْدِيَّ إلا عيسى بن مريم، وقد أكرمه الحكم المستنصر أيما إكرام لجهوده فى التصدى للخطر الفاطمى[5].

---

[1] ابن حزم، الفصل،3: 78.

[2] ابن حزم، الفصل،3: 86.

[3] أنظر: الفصل،3: 88،87،85،83،82.

[4] ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، 2: 102، ترجمة 1377.

[5] المقرى: نفح الطيب، 4: 69 ؛ وانظر: مكى: التشيع، 117.

رابعا: استقبال الدولة الأموية بالأندلس للاجئين السياسيين السنة الفارين من بطش الشيعة، ومنهم أحمد بن فتح بن الخراز المليلى الذي كان قاضياً بمليلة، وهرب إلى قرطبة سنة 325/ 936 خشية من عساكر الشيعة، واستقبله عبدالرحمن الناصر استقبالا عظيما[1]، وحكم بن محمد بن هشام القيرواني القرشي (ت 370) الذي واجه الشيعة بانحرافاتهم وهرب من اضطهاد عبيد الله المهدى إلى قرطبة فأكرمه الحكم المستنصر وأجرى عليه العطاء فى ديوان قريش[2].

خامسا: تتبع أخبار الشأن الأفريقى الشيعى، والتعرف على تفاصيل الأمور هناك، من خلال تشجيع حركة التأليف حول أفريقية ومسالكها وممالكها وحروبها والقائمين عليها، والتى بدأت على يد محمد بن يوسف الوراق بتكليف من الحكم المستنصر، وكذا تسليط الضوء على أخبار برغواطة، وعلى نسب العلويين[3].

[1] ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، 1: 75 ترجمة 202.
[2] ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، 1: 143، ترجمة 377.
[3] المقرى: نفح الطيب، 4: 60 ؛ وانظر:مكى: التشيع، 125.

openkandl.com

المبحث الثاني: الخوارج

تعتبر الخوارج أول الفرق دخولاً للأندلس إذ ترجع نشأتها بها إلى سنة121هـ/739م حيث قاموا بالثورة تعاطفا مع إخوانهم بالمغرب الأقصى، واختاروا لهم إماما نصبوه عليهم، وكانوا يحلقون رؤوسهم، ويرفعون المصاحف ويهتفون بشعار الخوارج لا حكم إلا لله[1].

وتجدر الإشارة إلى أن الخوارج لم يكن لهم عند بدء ظهورهم منظومة أفكار تشكل مذهبهم الذي فارقوا به أهل السنة، فقد كانت مفارقتهم للمسلمين متعلقة باعتراضهم على مسألة التحكيم، إلا أن مذهب الخوارج اتسع في بِدَعِه ومخالفاته، نظرا لما استتبع اعتراضهم الأول من التزامات، ولما استجد عليهم من محدثات، فمن آرائهم بصفة عامة:

1. الخروج على الحكام إذا خالفوا منهجهم وفهمهم للدين.
2. تكفير أصحاب الكبائر.
3. التبروء من الخليفتين الراشدين عثمان وعلي رضي الله عنهما.
4. تجويز الإمامة العظمى في غير القرشي، فكل من ينصبونه ويقيم العدل فهو الإمام، سواء أكان عبدا أم حرا، عجميا أم عربيا. وذهبت طائفة منهم وهم النجدات إلى عدم حاجة الناس إلى إمام، وإنما على الناس أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن رأوا أن لابد من إمام جاز لهم أن يقيموا لهم إماماً.
5. إسقاط حد الرجم عن الزاني، وإسقاط حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال دون من قذف المحصنات من النساء.
6. إنكار بعضهم سورة يوسف، وهو من أقبح أقوالهم وأشنعها، وهذا القول ينسب إلى العجاردة منهم، حيث قالوا لا يجوز أن تكون قصة العشق من القرآن !!
7. القول بوجوب قضاء الصلاة على الحائض، فخالفوا النص والإجماع[2].

وتجدر الإشارة إلى أنه منذ وصول الأمويين إلى الحكم فى الأندلس سنة 138هـ/756م على يد عبدالرحمن الداخل، وقد تضاءل تأثير الخوارج السياسى فى البلاد، ومن ثم لم نسمع

---

[1] مجهول، أخبار مجموعة، 66-71 وأنظر: أحمد مختار العبادى، فى تاريخ المغرب والأندلس، 91 ؛ محمود مكى، الخوارج بالأندلس، 170.

[2] الشهرستانى (محمد بن عبدالكريم، المتوفى 548هـ/1153م): الملل والنحل، ج2، تحقيق محمد بن فتح الله بدران، القاهرة – الهيئة العامة لقصور الثقافة 2014م، 195-255.

لهم عن ذكر إلا من خلال ثورتين صغيرتين قضى عليهما الحكم بن هشام الأولى فى الجزيرة الخضراء، والثانية فى مورور سنة 200هـ/815م [1].

وقد عرفت الأندلس الخوارج الأباضية فى عهد الحكم الربضى وابنه عبدالرحمن الأوسط اللذان استقبلا بنى عبدالوهاب بن رستم بالأندلس وصاروا فى عداد الموالى [2].

والأباضية هم أتباع عبدالله بن أباض ومن قولهم أن مخالفيهم من هذه الأمة براء من الشرك والإيمان وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كفار، وأنهم فى ذلك محاربون لله ورسوله ولا يدينون دين الحق، وقالوا باستحلال بعض أموالهم كالخيل والسلاح دون بعض كالذهب والفضة، وقد افترقت الأباضية إلى عدة فرق منها الحفصية والحارثية واليزيدية وأصحاب طاعة لا يراد الله بها[3].

وفى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى نعرف من ابن حزم أن ذلك القرن قد شهد بروز فرقة الأباضية كطائفة لها طقوس ومبادئ وفقه خاص بها وقد عبر عن ذلك بقوله:"وشاهدنا الأباضية عندنا بالأندلس يحرمون طعام أهل الكتاب ويحرمون أكل قضيب التيس والثور والكبش، ويوجبون القضاء على من نام نهارا من رمضان فاحتلم ويتيممون وهم على الآبار التى يشربون منها إلا قليلا منهم"[4]، ولا شك أنهم طبقوا نظام العزابة كنظام لإدارة الدولة فى أماكن تواجدهم لا سيما أن بعضهم وصل إلى منصب الحكم كبنى برزال فى قرمونة، وبنى دمر فى مورور[5].

---

[1] ابراهيم عبدالمنعم سلامة: التاريخ السياسى والحضارى لكورة مورور الأندلسية، الإسكندرية – دار المعرفة الجامعية 2013م،67-70.

[2] ابن عذارى: البيان المغرب، 2: 161 ؛ وأنظر: محمود إسماعيل: الخوارج فى بلاد المغرب، القاهرة – مكتبة الحرية الحديثة 1986م،206.

[3] لمزيد من التفاصيل أنظر: أبوالحسن الأشعرى: مقالات الإسلاميين،1: 104-111 ؛ البغدادي، الفرق، ص95-101.

[4] أنظر: الفصل،3: 124،

[5] العزابة: هى هيئة محدودة العدد تمثل خيرة أهل البلد، وتشرف إشرافا كاملا على شئون المجتمع. أنظر عنها بالتفصيل: على يحي معمر: الأباضية فى موكب التاريخ،عمان – مطابع النهضة، عمان 1410هـ /1989م، 97 وما بعدها.

ونعرف من ابن حيان[1] وابن حزم[2]أن بنى برزال بقرمونة وبنى واسين كانوا أباضية[3]، ويعرف بنو واسين أيضا ببنى وسيان وكلهم إباضية وهبية، ويرجع أصلهم إلى قبيلة زناته. كما أن قبيلة واسين أصل قبائل ميزاب، ولعلها هاجرت إلى الأندلس عقب الاضطهاد الذى تعرضت له من قبل الأغالبة والفاطميين والصنهاجيين، قبل سقوط الدولة الرستمية أو بعدها بقليل[4].

أما عن بنى برزال فقد شاركوا فى أحداث الفتنة البربرية فى الأندلس، ووقفوا مع بنى زيرى الشيعة بجوار سليمان المستعين ضد محمد بن هشام بن عبدالجبار الملقب بالمهدى، ولما استقر الأمر للمستعين عمد على تفريق البربر فأقطع بنى برزال جيان، وأقطع بنى زيرى غرناطة[5].

وكان أحد رجال بنى برزال وهو الحاجب أبوعبد الله بن عبد الله بن برزال قد سيطر على قرمونة واستقر بها هو وأهله قبل الفتنة، ولما انتثر عقد الأندلس عقب الفتنة أعلن أبو عبدالله نفسه حاكما على قرمونة من العام 404هـ/1013م، وقد استمرت دولته الإباضية مستمرة بعد سقوط الخلافة الأموية بثمانية وعشرين عاما[6].

وبشأن بنى دمر فإن المستعين قلد أحد زعمائهم وهو نوح بن أبى تزيرى على ولاية مورور وأركش فاستبد بهما من العام 404هـ/1014م، وأقام لنفسه سلطانا إلى أن مات فى العام 433هـ/1041م أى بعد سقوط الخلافة بأحد عشر عاما، واستمرت دولته فى عقبه إلى أن ضمها المعتضد بن عباد لمملكته إشبيلية فى العام 458هـ/1065م[7].

---

[1] نقلا عن ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، تحقيق ليفى بروفنسال، بيروت – دار المكشوف 1956م،237.

[2] أنظر: جمهرة أنساب العرب، بيروت – دار الكتب العلمية 1403هـ/1983م، 498.

[3] بنو برزل وبنو واسين بطنان من بطون قبيلة زناتة البربرية التى سكنت الأندلس. أنظر ابن حزم، المصدر السابق، 498.

[4] يحيى محمد بكوش: الوجود الإباضى فى الأندلس، شبكة الدرة الإسلامية، 7.

[5] ابن الخطيب: أعمال الأعلام، 68.

[6] بكوش: الوجود الإباضى، 9.

[7] ابن عذارى: البيان، 3: 295،296 ؛ وانظر: ابراهيم عبدالمنعم سلامة: التاريخ السياسى والحضارى لكورة مورور الأندلسية، 89.

وتجدر الإشارة إلى أن الغالب على إباضية الأندلس مذهب النكارية، الذى كان عليه بنو برزال ومنهم محمد بن عبدالله الوردسنى البرزالى وابنه إسحاق حاكما قرمونة[1] وأبو محمد بويكينى أحد الناسكين والعلماء بالأنساب والذى استفاد منه ابن حزم فى ذلك حيث كان على صلة به[2] ويبدو أن هذه الصلة إلى جانب تواجد الخوارج بالأندلس كانا من أسباب توجه ابن حزم لدراسة فرق الخوارج دراسة دقيقة ومتقنة.

ويتضح من نوازل وفتاوى فقهاء المالكية أن الأباضية كان لهم حضور جلى فى الصلوات والمساجد وفى الحياة العلمية والعامة العامة، وهو ما نستشفه من فتوى أحدهم والتى جاء فيها أن المعتنق للأباضية يستتاب وإلا قتل، والبعض الآخر ذهب إلى أنهم فى النار ونهى عن الصلاة خلفهم وقال بأن الأباضى كالكافر يقتل بغير استتابة، ومنهم من نهى عن تعليم الخوارج وأولادهم القرآن والكتب الشرعية[3].

كذلك يتضح تواجدهم فى الحياة العلمية من خلال مناظرة ابن حزم الظاهرى لهم[4] وانتقاده لأصولهم ومبادئهم التى جمعها فى كتابه – الفصل – بالحجج العقلية والنقلية ومنها قولهم أن الشفاعة لا تنال أصحاب الكبائر من أمة الإسلام[5] وإنكارهم عذاب القبر[6] وإجازتهم الخلافة فى غير قريش[7] ونفيهم لظهور الدجال[8].

---

[1] ابن حزم، الفصل،3: 127 ؛ وأنظر: ابن الخطيب:مصدر سابق،2: 237، والنكارية هم أتباع يزيد بن فنذين، وسموا بذلك لأنهم أنكروا إمامة عبدالرحمن بن رستم إمام الأباضية فى المغرب، كما أنكروا الميراث فى الإمامة. لمزيد من التفاصيل أنظر:عبدالقادر البحراوى، الخوارج،الإحساء – مكتبة الهفوف لوطنية،1407هـ، 91-93.

[2] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب،498.

(3) أنظر: ابن سهل (أبو الإصبغ عيسى، المتوفى 487هـ/1094م)، ثلاث وثائق فى محاربة الأهواء والبدع فى الأندلس، 32،27،26-34 ؛ الونشريسى: المعيار،8: 237 ؛ محمود مكى، الخوارج بالأندلس، 171.

(4) أنظر: الفصل،2: 374.

(5) نفس المصدر،2: 366-370 ؛ وانظر: عبدالقادر البحراوى ؛ الخوارج،84.

(6) أنظر: الفصل،2: 372-374.

(7) نفس المصدر،3: 6،7.

(8) نفس المصدر،1: 130،131.

المبحث الثالث: المعتزلة:

بدأت المعتزلة بفكرة أو بعقيدة واحدة، ثم تطورت لتشكل منظومة من العقائد والأفكار[1]، والتي في مقدمتها الأصول الخمسة الشهيرة التي لا يعد معتزلياً من لم يقل بها، وهى: التوحيد، والعدل[2]، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد[3]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[4].

وهناك عقائد أخرى للمعتزلة منها ما هو محل اتفاق بينهم، ومنها ما اختلفوا فيه، ومنها:

1-نفيهم رؤية الله عز وجل: حيث أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه لا يرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة، قالوا لأن في إثبات الرؤية إثبات الجهة لله سبحانه وهو منزه عن الجهة والمكان، وتأولوا قوله تعالى:"وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة"أي منتظرة[5].

2- قولهم بأن القرآن مخلوق: وقالوا إن الله كلم موسى بكلام أحدثه في الشجرة[6].

3- نفيهم علو الله سبحانه، وتأولوا الاستواء في قوله تعالى:"الرحمن على العرش استوى"بالاستيلاء.

4- نفيهم شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته. قال الإمام الأشعري في المقالات:"واختلفوا في شفاعة رسول الله هل هي لأهل الكبائر فأنكرت المعتزلة ذلك وقالت بإبطاله"

5- نفيهم كرامات الأولياء، قالوا لو ثبتت كرامات الأولياء لاشتبه الولي بالنبي[7].

---

[1] عن التطور الفكرى للمعتزلة أنظر: محمد العبده وطارق عبدالحليم: المعتزلة بين القديم والحديث، برمنجهام- دار الأرقم، برمنجهام 1408ه/1987م، 101-113.

[2] الشهرستانى: الملل والنحل، 65-67

[3] الشهرستانى: الملل والنحل، 63.

[4] أنظر: عبدالرحمن بدوى: مذاهب الإسلاميين، بيروت - دار العلم للملايين 1997م، 55-72؛ محمد العبده وطارق عبدالحليم: المعتزلة بين القديم والحديث، 44-80.

[5] الشهرستانى: الملل والنحل، 62.

[6] الشهرستانى: الملل والنحل، 62.

[7] لمزيد من التفاصيل عن معتقد المعتزلة أنظر: البغدادى: الفرق، 104 وما بعدها، جمال الدين القاسمى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، مؤسسة الرسالة، ط1، 1399ه/1979م، 60 وما بعدها؛ ناصر عبدالكريم العقل: الجهمية والمعتزلة، دار الوطن للنشر، ط1، 1421ه/2000م، 169 وما بعدها.

6-طعنهم فى أصحاب النبى، كأبى بكر وعلى وابن مسعود وأبى هيرة، وابن عمر، وزعم واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد أن إحدى الطائفتين يوم الجمل فاسقة، وردا شهادة كل من على بن أبى طالب وعمار بن ياسر والحسن والحسين وأبى أيوب الأنصارى وعائشة وطلحة والزبير(1).

انتشرت المعتزلة بالأندلس وعرفت طريقها إليها على يد شخصين أحدهما يدعى (أبى جعفر أحمد بن هارون)، والثانى هو الطبيب (أبى بكر بن فرج بن سلام القرطبى)، الذى سافر إلى المشرق والتقى بالجاحظ وتعلم على يديه وأخذ أعماله للأندلس، وعدل آراء إبراهيم النظام وأسس أول مدرسة اعتزالية بالأندلس(2)

وفى القرن الثالث الهجرى/التاسع الميلادي ظهر المؤسس الحقيقي لمدرسة الاعتزال، وهو (محمد بن مسرة القرطبي) الذى استطاع أن يجمع حوله بعض الأتباع، وكان يعيش مع أقربهم فى معتزل له يمتلكه بجبل قرطبة حيث يعلمهم مبادئه سرا، ولم تلبث أن انتشرت هذه الأفكار التى تقول بأن الإنسان هو الفاعل الحقيقي لكل ما يصدرعنه من أعمال، وأن عذاب النار ليس عذاباً حقيقيا، فضلا عن الآراء التى تنحو نحو وحدة الوجود وتكاد تكون فلسفة إلحادية(3)

وبالرغم من نجاح ابن مسرة فى نشر فكره بين تلاميذه وجذب عدد كبير منهم حملوا هذا الفكر مثل (أبان بن عثمان بن سعيد)، (وأحمد بن عبدالوهاب بن يونس)، (وأحمد بن وليد بن عبدالحميد بن عوسجة)، (ورشيد بن فتح الدجاج القرطبى)، (ومحمد بن أحمد بن حمدون الخولانى)، (ومحمد بن عبدالله المعافرى)، (ومحمد بن عبدالله بن عمر)، فقد لقى معارضة السلطة الأندلسية والعلماء لمخالفته للمذهب المالكي حيث أنفذ الخليفة الناصر

(1) البغدادى: الفرق، 120، وانظر: محمد العبده وطارق عبدالحليم: المعتزلة، 97 -100.

(2) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسى، 324،325.

(3) ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس،2: 687-689 ؛ وانظر A. PLACIOS:The mystical philosophy of Ibn masarra and his followers,translated by elmerh douglas and howardw yoder,leiden ,1978,P.30-57 ؛ محمد بركات البيلى،"محمد بن عبدالله بن مسرة ونزعته المسرية فى الأندلس"، مجلة المؤرخ المصرى،عدد15 يوليو1995م، 257-314.

لدين الله إلى آفاق ملكه كتابا طويلا يحث فيه على استئصال شأفتهم وتتبع أقوالهم، وتحذير الناس منهم،كما تصدى للرد على ابن مسرة العديد من العلماء مثل (ابن أبيض) (والزبيدى) (والقاضى ابن زرب)([1]) ولكن هذه المعارضة لم تمنع من انتشار أفكاره وآرائه، إذ نعرف من ابن حزم أن المعتزلة فى عصره أصبح لهم أماكن خاصة كوادي بنى توبه، ومعظم المرية، وبين قبائل البربر مثل دمر وزاكيا ويزدرين وصغمار ويطوفت ورتانين وغرزول وتفورت فهؤلاء كانوا معتزلة، وبعض بنى مغراوة وبنى يفرن([2]).

ومن الشخصيات التى دار جدل كبير حولها لشهرتها قاضى القضاة منذر بن سعيد البلوطى حيث اتهمه البعض بأنه كان من أهل الاعتزال، ويبدو أن الحكم لم يعجب ابن حزم ومن ثم رأيناه يصف ذلك بقوله: كان متهما بمذهب الاعتزال([3])، وممن اتهم المنذر بذلك ابن العربى المالكى عدو الظاهرية وخصمها اللدود حيث وصفه بأنه أتى ببدعة القدرية من المشرق فى الاعتقاد، ونحلة الداودية فى الأعمال([4])، ولم يتيسر لنا أن نقف على صحة قول ابن العربى إذ إن جل مصنفات المنذر مفقودة إلا رسالتين صغيرتين، ومشهور عن ابن العربى تعصبه فلا يمكن أن نثق فى كلامه، لا سيما مع حكم ابن حزم المهم أن المنذر كان متهما، ولم يقل كان معتزليا([5]).

ومن أبرز الشخصيات الاعتزالية فى عصر الخلافة الأموية بالأندلس (حكم بن المنذر) رئيس المعتزلة ومتكلمهم، (وعبدالوهاب بن منذر)، (وإبراهيم بن سهل الأريوانى)، (وأحمد الطبيب) من المرية، (وإسماعيل الرعينى) الذى أخذ على عاتقه نشرفكر ابن مسرة في المرية وكان أنصاره يعدونه إماماً يؤدون إليه الزكاة([6]).

---

[1] ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس،1: 114،103،59،2،473،472،268: 756، 773 ،778،774، 779؛ وأنظر: وانظر-A. PLACIOS ,The mystical philosophy of Ibn masarra , P.95 118 ؛ محمد عبدالحميد عيسى، تاريخ التعليم فى الأندلس، 121-125.

[2] أنظر: نقط العروس، رسائل2: 115؛ جمهرة أنساب العرب، 498.

[3] أنظر: طوق الحمامة، 45.

[4] انظر: العواصم من القواصم، ج2، تحقيق عمار الطالبى، الجزائر، 2013م، 493.

[5] انظر: كتابنا تاريخ أهل الظاهر، 157.

[6] ابن حزم، طوق الحمامة، 112 ؛ الفصل،2: 390 ؛ وأنظر: ابن بشكوال(أبو القاسم خلف، المتوفى 578هـ/1182م): الصلة، 2/555.

الجدير بالذكر أن ازدهار المذهب الاعتزالى الذى أصبح يمثل جماعة يخشى بأسها بالأندلس فى عصر الخلافة كان سببا فى اندفاع فقهاء أهل السنة للرد عليهم وتعقب أفكارهم، ومن الذين تعقبوهم ابن حزم الظاهرى الذى سلك مسلكين لمجابهتهم:-

الأول: المناظرة مثل مناظرته لجماعة من أتباع ابن مسرة حول (علم الله هل هو الله أم غيره ؟، وهل هو محدث مخلوق أم لا؟)[1] وأخرى مع واحد من أتباع ابن مسرة حول (قدرة الله تعالى)[2].

الثانى: الرد على مبادئهم المخالفة لأهل السنة فى فصول خاصة من كتبه، مثل فصل الرؤية وفصل عن القرآن وفصل عن الشفاعة التى أنكرتها المعتزلة[3] إلى غير ذلك من أقوالهم التى انتقدها ابن حزم فى الجزء الثانى من الطبعة التى اعتمدنا عليها من كتابه – الفصل – كما خصهم بفصل كامل ضمن كتابه السابق استقصى فيه مبادئهم المخالفة لأهل السنة وانتقدها بحجج عقلية ونقلية[4].

[1] ابن حزم، الفصل، 1: 376 – 393.
[2] انظر: الفصل،2: 25،26.
[3] انظر: الفصل،2: 34 – 47، 168 –186، 366 –369.
[4] انظر: الفصل،: 3: 128-141

obeikandl.com

المبحث الرابع: الأشعرية

الأشاعرة فرقة إسلامية تنتسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري(ت324ه) وتنتهج أسلوب أهل الكلام في تقرير العقائد والرد على المخالفين.

وأول ما نسمع عن الأشعرية بالأندلس فى عصر الخلافة إذ كان لها سوق نافقة بها فى ذلك العصر، ولا نعرف تحديدا متى دخل هذا المذهب إلى الأندلس ولا على يد من ولا فى عهد من من حكامها، ولكن يفهم من كلام ابن حزم أن طريق دخولها إليها هو القيروان، إذ أنها كانت أحد مراكز المذهب[1]. كما يمكننا أن نزعم أنها بدأت فى الانتشار بالمغرب والأندلس بطريقة خطط لها فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى إذ إن القاضى الباقلانى أرسل أحد أصحابه وهو الحسين بن عبدالله بن حاتم الأزدى (ت423ه /1031م) إلى القيروان والمغرب لنشر المذهب، فدان له أهل العلم من أئمة المغرب، وانتشر المذهب فى صقلية والأندلس[2].

وبالرغم من قلة عددهم فإنهم كانوا يمثلون طائفة داخل المجتمع الأندلسى لها رئيسها الخاص ومبادؤها التى يناظرون عليها ويدافعون عنها.

ولا يمكننا أن نغفل دور أهل العلم الذين رحلوا إلى المشرق من الأندلس فى نشر الفكر الأشعرى بعد عودتهم إلى الأندلس، ومنهم الإمام أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت 392ه)، والمحدث أبو عمر الطلمنكي (ت 429ه)، وأبو عمرو الداني المقرئ (ت 444ه)، وإن كان الخلاف لا يزال قائما حول أشعرية كل من الطلمنكى والدانى.

كذلك كانت لمصنفات بعض المالكية أثر كبير فى انتقال الفكر الأشعرى إلى الأندلس لا سيما رسالة ابن أبى زيد القيروانى (ت386ه) والتى طرح فى مقدمتها عقيدته، وهى وإن كانتتمثل العقائد السنية في تلك الفترة فقد كانت متلبسة بآراء الأشعرية التي قصد بها المؤلف الرد على مذاهب الاعتزال والإرجاء والخوارج والشيعة على طريقة الأشاعرة.

ورغم أن الأشعرية فرقة من فرق المتكلمين، ورغم أن مؤسسها الإمام الأشعرى قد رجع عن كل أفكار المعتزلة وأعلن ذلك علانية أمام الناس فى المسجد ليصير أحد أئمة السنة

[1] أنظر: الفصل،3: 142.

[2] إبراهيم التهامى: الأشعرية فى المغرب، دار قرطبة، ط1،1427ه/2006م، 10،11.

– ولما مات نودى على جنازته"اليوم مات ناصر السنة"–، وتعرف عقيدته بعقيدة السلف، أوعقيدة أهل السنة(1). فإن كتاب الفرق جعلوها ضمن الفرق الإسلامية عند تناول أفكارها، وذلك لأن متأخرى الأشعرية لم يوافقوا الأشعرى فى العديد من القضايا ومنها تقديمهم العقل على النقل، وحصرهم الإيمان فى التصديق القلبى، وعدم الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة – ولا مانع من الاحتجاج بها في مسائل السمعيات أو فيما لا يعارض القانون العقلي–، والمتواتر منها يجب تأويله، وجعلوا التوحيد هو إثبات ربوبية الله عز وجل دون ألوهيته مع تأويل أكثر صفاته، وعمدوا إلى تفويض معانى الصفات الخبرية –كالوجه واليدين والعين والقدم والأصابع وكذلك صفتي العلو والاستواء – إلى الله تعالى على أن ذلك واجب يقتضيه التنزيه، ولم يقتصروا على تأويل آيات الصفات بل توسعوا في باب التأويل حيث أولوا أكثر نصوص الإيمان، وجعلوا قولهم فى الإيمان بين المرجئة التي تقول يكفي النطق بالشهادتين دون العمل لصحة الإيمان، وبين الجهمية التي تقول يكفي التصديق القلبي(2)؛ ومن ثم فلا غرو أن نجد ابن حزم يطرح أفكار الأشاعرة مع أفكار غيرهم من الفرق الإسلامية كالشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة(3).

لقد راجت الأشعرية وانتشرت أفكارها بالأندلس فى عصر الخلافة إلى الحد الذى أدى إلى وقوع معارك قلمية وكلامية بينهم وبين من خالفهم من الأئمة الكبار سواء من المالكية أو الظاهرية. فقد اندفع ابن حزم يعارض الأشاعرة بكل ما يملك من علم ووسائل فصنف كتابه"اليقين فى النقض على الملحدين المحتجين عن إبليس اللعين وسائر المشركين"ردا على بعض من ألحد من الأشاعرة بالأندلس والقيروان، والذين ذهبوا إلى أن إبليس منذ عصى الله تعالى فى السجود لآدم لم يعرف أن الله حق، ولا أنه خلق آدم من تراب وطين، ولم يسأل الله أن ينظره إلى يوم البعث، وأن ما ورد فى القرآن على لسانه إنما كان قولا هازلا مستهزئا منه

---

1 للتعرف على مذهب الأشعرى بالتفصيل أنظر:: الإبانة عن أصول الديانة، القاهرة – المطبعة المنيرية (د.ت)، 8 ؛ عبدالرحمن بدوى، مذاهب الإسلاميين، 534–568.

2 لمزيد من التفاصيل عن الأفكار العقدية للأشاعرة أنظر: الغزالى (أبوحامد محمد، المتوفى 505هـ /1111م)، الاقتصاد فى الاعتقاد، القاهرة – تحقيق محمد مصطفى ابوالعلا، مطبعة الجندى د. ت.، 29– 213.

3 أنظر: الفصل، 3: 143.

بلا معرفة ولا اعتقاد، وعلى رأس هؤلاء كبير من كبرائهم من أهل القيروان يدعى عطاف بن دوناس الذى صنف كتابا فى نصرة ذلك[1] كما ضمن ابن حزم كتابه – الفصل – عدة فصول فى الرد على مبادئ الأشاعرة وأصولهم بجانب ردوده المتناثرة بالكتاب مثل مبحث شنع المرجئة، ومبحث الإيمان والطاعات والمعاصي والوعد والوعيد، ومبحث اعتراضات للمرجئة[2].

كذلك يمكننا أن نقف على حقيقة الثراء الفكرى من خلال المناظرات التى وقعت بين ابن حزم والأشاعرة حول أصولهم والتى كانت تعقد فى مجالس حافلة بالناس، ومن ذلك مناظرته لأبى الوليد الباجى حول أحوال الناس ومعانيهم، وما وقع بينه – أى ابن حزم – وبين بعض مقدميهم حول – الذنوب هل يكون فيها صغائر أم لا؟ [3] ومثل ما وقع بينه وبين أحدهم حول – جواز اقتراف الأنبياء الصغائر بالعمد –، وهو القول الذى كان يدين به المناظر[4]، ومثل ما وقع بينه وبين أحد أئمتهم حول أصل من أصولهم وهو – أن علم الله هو غير الله وأنه لم يزل معه[5] ومثل ما وقع بينه وبين أحد علمائهم حول – إلصاقهم بعض الصفات لله تعالى مما لم يسم نفسه بها –، كقولهم إن الله يكيد ويستهزئ ويمكر وينسى وهو خادعهم[6].

---

[1] نفس المصدر،3: 144،143، وعطاف بن دوناس كان أحد فقهاء الأشاعرة بالقيروان على حد قول ابن حجر العسقلانى. أنظر: لسان الميزان، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، 1423هـ/2002م، 5: 441، ترجمة 5220.

[2] أنظر: الفصل،2: 209-3،245/143-165.

[3] أنظر: الفصل،3: 158،157،145.

[4] لسان الميزان،2: 319.

[5] أنظر: الفصل،1: 393.

[6] لسان الميزان،1: 404،405.

خامساً: المرجئة([1]):

عرفت المرجئة طريقها إلى الأندلس، ومن فرقها الكرامية التى تنسب إلى محمد بن كرام السجستانى([2])، ولا نعرف متى ولا فى عهد من من حكام الأندلس دخلت الدعوة الكرامية إليها، ولكن نعرف من ابن حزم أنها كانت معروفة بالمرية، وكان زعيمها محمد بن عيسى الألبيرى، الذى جمع حوله طائفة من العامة ونشر بينهم بعض مبادئه، مثل قوله بأن الله جسم لا حد ولا نهاية له، وأن المنافقين مؤمنون من أهل الجنة، وأن النبيكان لا يلزمه زكاة مال لأنه اختار أن يكون نبيا عبدا والعبد لا زكاة عليه، ولذلك لم يورث ولا ورث، وأن الله يحل فيما يشاء من خلقه([3]).

وقد كانت المرية مركزا لتواجد بعض الكراميين الذين جمعهم حوله زعيمهم محمد بن عيسى، ونعرف من ابن حزم أنه أيام كونه بالمرية قابل بها محمد بن عيسى، وسمع منه بعض مبادئه سنة407هـ/1016م ومن وقتئذ بدأ يهتم بدراسة هذا المذهب، لكنه لم يهتم بمناظرة

[1] الإرجاء على معنيين. أحدهما: بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ) الآية أي أمهله وأخره. والثاني: إعطاء الرجاء. أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول..، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد. وأما بالمعنى الثاني.. فلأنهم كانوا يقولون لا تضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. أنظر: الشهرستانى: الملل والنحل، 257-258.

[2] ظهرت الكرامية في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، ومن أفكارها ومعتقداتها تجسيم المعبود وزعموا انه جسم له حد ونهاية، وقالوا ان له وجهاً ويدين، يد لا كالأيدي ووجه لا كالوجوه واثبتوا جواز رؤيته، وأن الإمامة تثبت بإجماع الأمة دون النص والتعيين، وجوزوا البيعة لإمامين في قطرين، وغرضهم من ذلك إثبات خلافة معاوية في الشام واثبات إمامة أمير المؤمنين علي في الكوفة، وقالوا إن جميع فرق الإمة من أهل الجنة، وأن أهل الأهواء بعد العقاب يصيرون إلى الجنة ولايدوم عقابهم، وأن جميع الرسليعصون الله تعالى في جميع الكبائر والصغائر عمداً حاشا الكذب في التبليغ فإنهم معصومون فيه، وقالوا بصحة الصلاة المفروضة والصوم المفروض والحج المفروض بلا نية، وزعموا ان نية الإسلام في الابتداء كافية عن نية كل فريضة من فرائض الإسلام، ورأوا تصويب معاوية في ما استبد به من الأحكام الشرعية، وجعلوا الإيمان قولاً بلا معرفة وان اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن، وقالوا بصحة الصلاة في ثوب كله نجس وعلى أرض نجسة ومع نجاسة ظاهر البدن، وإنما أوجبوا الطهارة عن الاحداث دون الانجاس، وفي صلاة المسافر يكفيه تكبيرتان من غير ركوع ولاسجود ولاقيام ولا قعود ولا تشهد. أنظر: البغدادى: الفرق بين الفرق، 189-197.

[3] أنظر: الفصل،3: 143،142.

أتباعه واكتفى بالرد على أصولهم توضيحا لمن أراد الحق من الأندلسيين، ومرجع ذلك أن معظم أتباع هذا المذهب بالأندلس كانوا من العامة ولم يكن منهم من هو مثل أتباع المذاهب الأخرى فى العلم، ومن ثم فقد خشى ابن حزم لغطهم وتشنيعهم عليه بالباطل إن هو ناظرهم، أضف إلى ذلك أن زعيمهم محمد بن عيسى لم يكن راسخا فى العلم حتى يجارى ابن حزم، بل كان قليل الصواب كثير الخطأ على حد قول من لقيه من معاصريه(1).

ونعرف من ابن حزم أحد أخطر مؤرخى الفرق بالأندلس أن الكرامية سعت لنشر أفكارها عبر المصنفات والمجالس العلمية، وهو ما دفعه لتعقب هذه الأفكار والرد عليها من خلال منهجية ظاهرية تعتمد على نصوص القرآن والسنة وأصل اللغة العربية والعقل ومنها:-

أولا: قولهم بإجازة كون إمامان فى وقت واحد(2).

ثانيا: قولهم بأن رسل الله عليهم الصلاة والسلام يعصون الله فى جميع الكبائر والصغائر عمدا حاشا الكذب فى التبليغ(3).

ومن فرق المرجئة بالأندلس الجهمية أتباع أبى محرز جهم بن صفوان السمرقندى، ولا نعرف تاريخ دخولها الأندلس، إلا أننا نعلم من ابن حزم أنهم كانوا يمثلون طائفة فى عصره وكان لهم من يدافع عن مذهبهم ويناظر عليه، ولعل ذلك كان أحد الأسباب التى دفعت ابن حزم إلى مناظرة أتباعه والرد عليهم فى غير موضع من كتبه، فقد ناظر جماعة منهم حول قولهم – إن علم الله غير الله وهو مخلوق –، إلا أنه لم يذكر ما دار بينه وبينهم(4) كما انتقد هذا الأصل فى مبحث خاص تحت عنوان"الكلام فى العلم"(5) وعارض قولهم بأن الإيمان عقد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه فى مبحث"الإيمان والكفر والطاعات"، وانتقد قولهم بجبرية الإنسان فى مبحث"خلق الله تعالى لأفعال خلقه"، وعارض قولهم بفناء الجنة والنار فى

---

1 انظر: الفصل،3: 142.

2 انظر: الفصل، 3: 5، والحديث رواه مسلم فى كتاب الإمارة من صحيحة، باب إذا بويع الخليفتين.

3 نفس المصدر،2: 284-322.

4 أنظر:الفصل،1: 384.

5 نفس المصدر،1: 284-397

مبحث"بقاء الجنة والنار أبدا"[1] أما قولهم بالقياس فقد انتقده فى عدة فصول من كتابه – الإحكام –، وكان رده على كل من أجاز القياس من الفرق والمذاهب الإسلامية[2].

obeikandl.com

[1] أنظر: الفصل،2: 86-209،126-395،233-398.

[2] أنظر: 2: 368-487،483-575،545-580.